المنهج الرمزي في تأويل النص عند أوغسطين

د. كحول سعودي(*)

مقدمة

لم يترك القدّيس «أوغسطين» مجالاً من مجالات الفكر الفلسفي الكلاسيكي إلاّ وبحث فيه وعالجه، سواء ما يتعلق بالوجود أو المعرفة أو القيم، مع التركيز على فكرة الألوهية بوصفها حجر الزوايا في كل ميتافيزيقا. لكن يمكن بطبيعة الحال تناول فكره من زوايا كثيرة ومختلفة، ما يفرض الفصل بين «أوغسطين» الأول و«أوغسطين» الثاني أو بين الإنسان الأول والإنسان الثاني(الإنسان الداخلي على حد تعبيره)، لاسيّما وأنّه عرف تحولاً جذريًا في مساره الفلسفي بعد اعتناقه المسيحية وانتقاله إلى الأفلاطونية، مع انتقاده للمذاهب المانوية والأكاديمية الجديدة التي كان تلميذًا وفيًّا لها لأنّ الفكر الأوغسطيني في نهاية المطاف غير منفصل عن حياته.

وحتى الحالات التي كان يهتم فيها بالمسائل الفلسفية الخالصة وخاصة في كتب الحوارات، كان هدفه الأساسي هو التوفيق بين تعاليم الكتب المقدسة والتراث الفلسفي للمدرسة الأفلاطونية، وقد استبق في ذلك تراث اللاّهوتيين المدافعين عن العقيدة المسيحية بالدليل العقلي. ومع ذلك فإنّ تأملاته الفلسفية لها أهميتها في ذاتها، وهي تكشف عن وجود قدر كبير من التعمق في تفكيره الفلسفي.

فالمذهب الأوغسطيني قائم أساسًا على الإيمان المسيحي، ماعدا في كتب الحوارات الفلسفية فإنّ الأولوية هي للعقل بالدرجة الأولى، مع عدم تغييب الدين المؤسس على الوحي. أما في أعماله الأخرى فإن «أوغسطين» يركز بصفة مطلقة في كتاباته على الوحي أو الإيمان كقاعدة لا غنى عنها. علمًا أن مصادر هذا الإيمان هو الكتب المقدسة التي تمنح معارف وحقائق خالدة صادرة عن النور الإلهي. لكن الكتب المقدسة نفسها تحتاج إلى استخدام العقل من أجل فهم

(*) أستاذ بجامعة قالمة، الجزائر.

معانيها الباطنية، وذلك باستخدام منهج التأويل الرمزي لتحقيق هذه الغاية. فما طبيعة هذا المنهج عند أوغسطين؟

١- الفلسفة والوحي المسيحي

يقول القديس «أوغسطين»: «قد علّمتني طرقك الخفية والعجيبة يا إلهي فآمنت بتعاليمك، التي هي حق، ومن سواك يا رب يقدر أن يعلم الحقيقة أيًّا كان مصدرها؟»[١] فيلزم عن ذلك أن الفلسفة الحقة عنده في الدين (الوحي) المسيحي مصدر كل التعاليم التي تمثل الحكمة الإلهية، فلا تعلُّم ولا تعليم دون محبة الله، ودون سلطة الكنيسة الكاثوليكية. كما يلزم عن ذلك أيضا أن المعرفة الحقة والعلم اليقين لا يكونا إلاّ بواسطة الوحي الإلهي منبع الأنوار الأبدية، ومصدر كل معرفة حدسية في الوقت نفسه.

أراد «أوغسطين» أن يبرز صحة الوحي المسيحي، فكان يدعو إلى أن تسود هذه الديانة، لذلك يحكي في كتابه «اعترافات» على تحولاته الفكرية والفلسفية، فعمل على البحث عن الحكمة الروحية الأبدية. وعند تحوله إلى الأفلاطونية والتي وضعته على سكة المذهب المسيحي، وفي دراسته للإنجيل سجّل ذلك الاتفاق العميق بين المسيحية والفلسفة السائدة في وقته أي الأفلاطونية. لأنّه باتجاه الأفلاطونيين نحو الدين عرفوا أن الله هو الخير المحض، وبأنه ليس شيئًا ماديًا، ولكنه حقيقة روحية وأزلية. اكتسب «أوغسطين» الدين الجديد ابتداءً من سماعه لصوت الله في حديقة ميلان[٢]، وهو صوت المسيح (اليسوع)، إنها إشارات ربانية توحي بأن الفلسفة الحقة في الدين المسيحي. والدليل على ذلك في نظره هو إمكانية نشره ليكون دينا عالميا أو كونيا. هذه الفلسفة الدينية ستكون قلب المذهب المسيحي الذي يرى في الله الخير الأسمى، والذي يُعلمنا كيف نصبح سعداء بالحقيقة. إنّه المذهب الذي يدعونا إلى حب الله حبًّا خالصًا على اعتبار أن الفيلسوف الحقيقي محبّ لله. ومن ثمة فالمسيحية في اعتقاده هي

(١) أوغسطين: إعترافات، اعترافات، ترجمة الخوري يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط٥، ١٩٨٩، ص ٨٤.

(٢) إنّها لحظة التحول التاريخي بالنسبة لأوغسطين حينما كان جالسا في بستان صغير إلى جانب بيته حيث قرّر وضع حد لآثامه، فوقعت له حادثة على حد تعبيره، إذ خُيّل له أنّه صوت صبي يردد له: «خذ واقرأ، خذ واقرأ»، وأثناءها أدرك أنّه نداء سماوي يدعوه إلى قراءة الكتاب المقدّس.

- أوغسطين: إعترافات، ص ص١٥٩، ١٦٦.

الوحيدة التي تحمل الجواب الوحيد والأفضل وهو أنّ الله ثابت دائم، وهو مبدأ أزلي للعالم المتغير، وقاعدة الحياة ونور العقل. وهكذا إذا أخذت الفلسفة هنا دور الدين الذي يجيب عن معاني الحكمة، فلأنّ الدين نفسه يُفهم كفلسفة، وذلك أحسن حكمة تُقترح، وأحسن طريق يقودنا إلى السعادة[١].

٢- الوحي المسيحي مصدر العلم الصحيح

الديانة المسيحية تُعلّم الناس ما لم يستطع «أفلاطون» تعليمه إياهم، فنحن في نظر «أوغسطين» أمام الدين الصحيح الذي يرشد إلى الحقيقة والسعادة. إن أفلاطون يرى أن الحقيقة لا تعرف بحواس الجسم، بل بالفكر وحده، حيث تبلغ النفس السعادة والكمال، وبواسطة تحرير العقل من أجل بلوغ الثبات لكل الكائنات. إنها النفس وحدها، الموهوبة بالعقل والذكاء، قادرة على التفكير في الأزلي. لكن المعرفة الحقة عند «أوغسطين» لا يمنحها الناس بتعليمهم، ولكنها تُمنح بواسطة أشعة النور الداخلي للإنسان الغني بفضل العناية الإلهية[٢].

اعتبر «أوغسطين» الله مُعلّمًا داخليا، ففي حياتنا ذاتها الله وحده قادر على تشكيل فكرنا، وهذا كافٍ لتبرير النداء الداخلي للإنجيل (L'évangile) الموجه للناس، الأخيار منهم والأشرار، لأن النشاطات الخارجية لهم وللملائكة وللناس وحتى للحيوانات لا تقوم إلا بأمر من الله، طالما أن خلق العالم المرئي في عمقه الباطني هو من عمل الله[٣]. ومنه فالفهم الصحيح يكتسب عن طريق الكنيسة التي تمكّن الناس من تعلم الحقيقة الثابتة أثناء البحث.

أكّد «أوغسطين» أن الفلاسفة يدرسون في مدارسهم آراء المجتمع المختلفة والمتناقضة حول طبيعة الآلهة والخير الأسمى. أما التعليم المسيحي فإنه يتجاوز هذه الأفكار ويرفضها، لأنّها بعيدة عن القاعدة المسيحية، وهو يبحث في الأسرار المقدسة للوحي ويهدف إلى مخاطبة

(1) Jean Grondin: La Philosophie De La Religion, presse universitaire de France, dépôt légal, Paris, 2000, pp 74, 79.

(2) Saint Augustin: La Vraie Religion, Traduction L'ablé Joyeux, édition Poujoulat et Raulx, Paris, 2010, pp 69 - 70.

(3) Saint Augustin: La Trinité (15), 1ère partie: Le Mystère, 2ème série: Dieu Et Son Oeuvre, par M. Mellet, O.P et Th. Comelot, O.P, introduction par: E. Hendrikx. O.E.S.A, Desclée de Brouwer, Paris, 1955, p301.

العواطف المغلوطة حول الله والأب، وحول حكمته اللامتناهية وعطائه الرباني، لذلك فإن المذاهب الأخرى لا تتفق مع المسيحية في وسيلة التعليم. وتتمثل هذه المذاهب في المانوية والأفلاطونية والوثنية وغيرها، مع العلم أن اليهود يطبقون نفس العقيدة التوحيدية دون أن تعترف بالعهد الجديد. فلا مذهب من المذاهب السابقة يُعلّمنا الدين الصحيح الذي لا نجده إلّا عند المسيحيين الذين ندعوهم بالكاثوليك أو الأرثوذكس، بمعنى حماة أخلاق العدالة[١].

لقد استكشف الفلاسفة حقائق جليلة نافعة، ولكنهم لم يستكشفوا كل الحقيقة الضرورية للإنسان، ووقعوا في أضاليل وبدع خطيرة، وليس يستطيع العقل بقوته الطبيعية الاهتداء إلى الحقيقة بأكملها، وفوق ذلك ليس للفلسفة بذاتها قوة على تحويل النفس من مجرد المعرفة إلى العمل الفاضل. فالفلسفة قاصرة من هاتين الناحيتين، والمسيحية وحدها تعرض علينا الحكمة كاملة عن الله والنفس، وتوفّر لنا الوسائل الفعّالة للحياة الصالحة والاتحاد بالله، هذه الوسائل وهي النعم تحملها إلينا الأسرار المقدّسة. فإذا أردنا السعادة وأردنا الحكمة وجب علينا الإيمان والعمل به. فالحقيقة الضرورية للإنسان مؤيدة بشهادة شهود جديرين بالتصديق، هي الرسل والشهداء وبعلامات خارقة هي المعجزات[٢]. ومعنى ذلك أنّ تركيز «أوغسطين» على المسيحية يمتد إلى القول بأنّ إله المسيحيين أفضل بكثير من إله الفلاسفة، فكانت فلسفته هادفة إلى حب الله.

يريد «أوغسطين» أن تكون فلسفته حبًّا حقيقيا للحكمة النابعة من الإيمان الذي يقول لنا ماذا يمكننا فهمه، وهو الذي يطهّر القلب، ويسمح للعقل أن يناقش كل المسائل العقدية أي تعقل الإيمان، فيصبح قادرًا على إيجاد الذكاء المتصل بالوحي الإلهي. إنه الدين الذي يريده أن يكون كاملاً، ينبغي أن يتوجه إلى العقل انطلاقًا من الإيمان. فالدين الحقيقي لا يكون إلا مع الفلسفة الحقيقية، والفلسفة الحقيقية بدورها لا تكون إلاّ مع الدين الحقيقي. فهذا ما دفع «أوغسطين» إلى أن يسميها فلسفة مسيحية، بمعنى التأمل العقلي للوحي المسيحي[٣].

لا يريد «أوغسطين» أن يفصل الدين عن الفلسفة الحقة، مع ربطهما طبعًا بالحب، فكانت المسيحية (الفلسفة أو الحكمة الحقيقية) محبة الله.

---

(1) Saint Augustin: La Vraie Religion, pp74 - 75.

(٢) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط٣، ص٢٩.

(3) Étienne Gilson: Introduction à L'étude De Saint Augustin, 2ème édition, Librairie philosophique J. Vrin, 1943. pp 46 - 47.

لقد اعتاد الكتاب المقدس أن يسمي تلك الإرادة الصالحة محبة كما يسميها كتب القديسين حبًّا. يقول «أوغسطين»: «لكنني أسأل الفلاسفة هل عرفوا ذلك، وعلى أي أساس يبنون رأيهم؟ على أنهم يعتبرون الحب جيدا وأن حب الناس لله واجب؛ وعنه تتحدث كتبهم. غير أن كتبنا الدينية، التي لا تعلوها سلطة، تخلط بين المعاني التي تعبّر عنها الألفاظ الأجنبية: Amour, Dilection, Charité وهذا ما وجب التنبيه إليه، الحب خير...»[١]. وفي هذا يقول المسيح: «إنّ الذي يعزم، في نفسه، على أن يحب الله ويحب قريبه كنفسه، لا بحسب الله يُسمى بحق ذا إرادة صالحة»[٢]. ويقول أيضا: «أحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل عقلك وأحبب قريبك مثل نفسك»[٣].

وفي الأخير فإنّ خلاص النوع الإنساني يقوم على الاعتماد على العناية الإلهية (La Providence Divine)[٤] حيث يُعاد تشكيله للحياة الخالدة، وذلك بالعقيدة الصحيحة للنفس السائرة على طريق الحياة الربّانية، والقادرة على فعل الخيرات الروحية(Les Biens Spirituels) الأزلية والدائمة. لابد إذن من الإيمان بالله، الأب والابن وروح القدس، هذا الثالوث الذي نسميه جوهرًا، وماهية، وطبيعة، يتميز بالوجود، والتميز عن كل المخلوقات والكائنات، ومبدع نظام الكون[٥]. لكن السؤال المطروح هو: هل هذه المسائل إيمانية خالصة بعيدة عن التناول العقلي؟

٣- مسألة الإيمان والعقل

يبدو لنا بخصوص مشكلة المعرفة عموما إختلاف «أوغسطين» عن فلاسفة العصر الوسيط، خاصة المسيحيين منهم، إذ تأسست نظريته على المذهب الأفلاطوني والوحي المسيحي في آن واحد، لذا حاول التوفيق بين سلطة الإيمان وسلطة العقل(Foi Et Raison)،

(١) القديس أوغسطين: مدينة الله، ج٢، ترجمة الخوري أسقف يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٨، ص١٦٧.

(٢) إنجيل لوقا ٢: ١٤ (الإصحاح ٢. الآية ١٤).

(٣) إنجيل متى ٢٢: ٣٧، ٤٠ (الإصحاح ٢٢. الآية ٣٧، ٤٠).

(٤) العناية فعل يمارسه الله على العالم، بوصفه إرادة تقود كل الأحداث إلى غايات.
- أندريه لالاند: الموسوعة الفلسفية، ج٢، ص١٠٦٤.

(5) Saint Augustin: La Vraie Religion, p78.

وذلك على غرار تراث الفلسفة المسيحية ككل، فما كان على فيلسوفنا إلا ضبط هذه المشكلة المنهجية في مجال المعرفة، وهي علاقة الدين بالعقل. فهل هما متناقضان أم متلازمان؟ وهل نبدأ بالعقل وبعد ذلك بسلطة الدين أم العكس؟ وإلى أي مدى يتدخل العقل في تأويل النصوص المقدسة؟

إنّ فلسفة «أوغسطين» التي تدور حول مشكلة وجود الله قائمة على الإيمان (La Foi) مع الاعتقاد بالسلطة (Autorité) - أي سلطة الدين - لأننا نرغب في المعرفة والعلم بما نؤمن به، وفي هذا المجال فإن الاعتقاد والمعرفة ليسا شيئان متمايزان، لأننا نعتقد ونؤمن بالحقائق الإلهية التي نرغب في فهمها، وقد اعتمد «أوغسطين» في هذا المنهج على الفكرة القائلة: «إذا لم تؤمنوا، لن تفهموا» أو «إذا لم تعتقدوا، لن تعقلوا». «Si vous ne croyez pas, vous ne comprendrez pas». وفي أصلها اللاتيني هي: «Nisi cre did eritis, non eintelligetis». وهي مأخوذة من سفر الرسّول أشعيا: «إن لم تؤمنوا فلا تأمنوا»، وفي ترجمة أخرى: «إن لم تؤمنوا فلا تفهموا»[١]. إنّ رَبّنا نفسه، وبواسطة كلمته وأفعاله، يحثّنا على الإيمان. لكن عند الكلام عن هذه الهبة الثمينة التي يريدها المؤمنون فإنه يقول بأن الحياة الخالدة والأبدية تتضمن معرفة أسرار الوحي، ومنه فما نعتقده لا يمكن أن يكون دون معرفته وتعقّله. وفي الواقع لا وجود لشخص قادر على إيجاد الله إن لم يؤمن أولاً بما يجب معرفته ثانيا[٢].

وهذا ما عبّر عنه القديس «أنسلم» (Anselme) (١٠٣٣ - ١١٠٩) في الفلسفة السكولائية بالإيمان الباحث عن العقل: «لا أحاول أن أعقل كي أؤمن، بل أؤمن كي أعقل (...) لا أستطيع أن أعقل إن لم أؤمن»[٣].

فالمنهجية المثالية عند «أوغسطين» تتمثل في وضع الإيمان قبل التأمل النقدي، والدليل على ذلك هو شهادة المعجزات وغيرها. يقول: «الإيمان المسيحي (La Foi Chrétienne) معقول. إذ يتدخل الإيمان في شهادة الناس في كل الأشياء الإنسانية. كم هو معقول أيضا الافتخار بشهادة

(١) سفر أشعيا: ٧: ٩ (الإصحاح٧. الآية٩).

(2) Saint Augustin: Dialogues Philosophiques, De L'ame à Dieu, De Magistro, De Libero Arbitrio, tome (6), Traduction, notes par F.J Thonnard, deuxième édition, Desclée, de Brouwer et Cie, Paris, France, 1952, p219.

(3) Saint Anselme: Sur L'existence De Dieu (Proslogion), Traduction Alexandre Koyré, Librairie philosophique J. Vrin, Paris, 8ème édition, 1992, pp11 - 13.

الله، منذ علّمنا أنّه تكلم! ومنه، فإنّ فعل الشهادة الإلهية معروفة بعلامات كثيرة كالأنبياء ومعجزات كل نظام...»[١]. فتتحقق العناية الإلهية بواسطة أعمال الرُّسل، وبالإنسانية، وبمذهب المسيح، وبرحلات الأنبياء، وبالصليب، وموت الشهداء، وبالقديسين، والعدد الكبير من المعجزات[٢]. يستدل «أوغسطين» إذن، بالمعجزات، إذ أن المعجزة في نظره حادثة تتجاوز التعرّف البسيط للسلطة، فتستدعي استقبالا خاصًا. وعلى العقل أن يتجاوز البداهة الحسية العادية وذلك بمساعدة الدور الذي تلعبه الإرادة. ويكون حضور الإيمان في مسرح العقل بصورة بديهية، هو حضور العقل ذاته، وهذا يسمح للإيمان أن يكون حادثة للاستدلال والتبرير العقلي، لذلك يركز «أوغسطين» على فكرة: أنا أؤمن لكي أفهم، يعني الفهم للإيمان والإيمان للفهم. ففهم الكلام من أجل الإيمان، والإيمان بكلمة الله (المسيح) من أجل الفهم[٣].

في ضوء ذلك يظل «أوغسطين» وفياً لعقيدته الكاثوليكية، لذا نرى بأن الفلسفة الحقيقية في نظره تبدأ بالإيمان، وهو المنهج الذي يمارسه اللاّهوتي أوالفيلسوف الحقيقي(الحكيم). فينجم عن ذلك أن طريق المعرفة يكمن في تحويل الإيمان من مجرد عاطفة إلى بناء منطقي عقلاني. لهذا، فقد مارس القديس «أوغسطين» بعض التأويلات وخاصة في بعض كتبه مثل: «الإيمان المسيحي» «La Foi Chrétienne» و«المذهب المسيحي» «La Doctrine Chrétienne».

٤- التأويل اللاّهوتي

لقد أفرد «أوغسطين» كتابا للتأويل بعنوان «المذهب المسيحي» يظهر فيه الموضوع منذ الأسطر الأولى للكتاب، يتعلق بطريقة فهم الكتابات المقدسة، وهو ما يسمى في المراحل اللاّحقة بالهرمينوطيقا، فوضع بذلك أوغسطين بين يدي من يرغب في هذا العلم امكانية تلقيه.

وضّح في فصله الأول (الكتاب الأول) عن سبيلين أساسيين حول مشروعه وهما: العمل على التفسير المقدس الذي يتضمن بحث وكشف وفهم النص المقدس، ثم التعبير عنه مع نقل

(1) Saint Augustin: Pages Dogmatiques, tome (2), Synthèse Du dogme Catholique, édition Vivés, Paris, 1935, p108.

(2) Ibid, p120.

(3) Dominique Doucet: Augustin, L'expérience Du Verbe, Librairie philosophique J. Vrin, Paris, 2004, pp148 - 149.

ما تم فهمه. فيجب أولا معرفة الإنجيل وحسن قراءته وحفظه، وثانيا أخذ ما تم تعلمه من الانجيل كمعيار يُؤَسس عليه التأويل الصحيح للكتاب[١].

هذا الكتاب الأول كرّسه للكتابين الثاني والثالث، فالثاني وضعه من أجل موضوع العلامات التي يحتويها كأي نص آخر. ويتعلق الأمر هنا بفهمها وتأويلها تأويلا سليما أي ترجمة العلامات في حد ذاتها بتأملها والتفكير فيها. ثم باعتبارها نصا مقدّسا يستدعي توفر شيئا من الروحانية، وذلك بالعودة إلى التقاليد الكنسية. وهذه القراءة الأخيرة تشترط ثقافة عامة واسعة جدا، بالإضافة إلى اتقان اللغات وخاصة اليونانية والعبرية ما يسمح بتفادي الأخطاء حول العلامات المجهولة والغامضة. والترجمة الصحيحة للعلامات الرمزية يستدعي أيضا معرفة كافية لكثير من التخصصات كالعلوم والفن والجدل قصد تجاوز الغموض الموجود في النص[٢].

أما الكتاب الثالث فإنه يضع القارئ مباشرة مع النص في حد ذاته لأنه يتعلق بآداب دقيقة حيث الصعوبة واللبس والغموض والمعاني المشكوك فيها، وبالتالي فخطر التأويل الزائف غير مستبعد، لذا يستخدم أوغسطين في هرمينوطيقا الإنجيل كل مصادر العلوم المكتسبة كعلم النحو والخطابة.

وقد انتبه انطلاقا من ذلك إلى ضرورة التمييز بين المعنيين المجازي والحقيقي للكلمات(الحرف والروح)، لاستخراج المعنى الحقيقي من المجازي الذي يتضمن الكناية والاستعارة، مع الاهتمام بكيفية النطق ووضع العلامات النحوية (ponctuation)، وبتعدد المعاني لابد من استخدام طريقة المقارنة والنقد الداخلي[٣].

وفي الكتاب الرابع تطرق أوغسطين إلى كيفية الكشف عن معنى الكتابة ووضعه في خدمة الحقيقة المسيحية، بدراسة النصوص الكبرى للكُتّاب الكنسيين من الحكماء العظماء كالقديس بولس وغيره[٤].

(1) Saint Augustin: La Doctrine Chrétienne, 1ère série, Traduction Madeleine Moreau, éditions Brepols, Paris, 1997, p15.

(2) Ibid, p16.

(3) Ibid, p17.

(4) Ibid, p19.

وضع كتاب «المذهب المسيحي» لتأويل الإنجيل، لعامة الناس بما أنه يحمل لغة مجردة، إنه كتاب تعليم وتَعلُّم وتربية وثقافة، يتضمن تعليقا حول الكتب المقدسة، لأن كل تعليم يتعلق بالحقائق والوقائع أو بالعلامات (Les Signes)، ومنه فهذه الكتب هي ترجمة لأفكار ما، كأي خطاب إنساني[١]. فلو فتحنا قراءة جديدة لهذا الكتاب سنجده يتناول وسائل التعبير التي يعمل بعض الكُتّاب القديسون على تشكيل عموم اللّاهوت السائد في الكتاب المقدس أثناء تفسيراتهم لآياته، وهي الوسائل والأدوات(العلامات) الخاصة بالمتأوّلين للإنجيل. وفيه اهتم «أوغسطين» بالمعاني الظاهرية والباطنية للنصوص، كاجتهاده مثلا في إثبات تجسُّد الكلمة (المسيح) كعلامة فوق كل العلامات، ومنه فالعالم الحسي ما هو إلا مظهر خارجي للعالم المعقول[٢].

وفي هذه المرحلة يؤكد القديس «أوغسطين» إيمانه - سواء بقوة أو بضعف - بحقائق الوحي. لكنه لم يشك أبدًا في إيمانه بوجود الله وبعنايته بنا. يجب أن نفكر في طبيعة الخالق، والسبيل المؤدي إليه، رغم قناعتنا بضعفنا الكبير في اكتشاف الحقيقة بواسطة قوى العقل وحدها، ومن أجل ذلك فإننا في حاجة إلى سلطة الكتب المقدّسة مع تفسيرها تفسيرًا عقلانيا. يقول «أوغسطين": « منذ أن فُسّر لي عدد كبير من مسالك هذه الكتب، بمعاني معقولة، أستند إلى عمق الأسرار المسيحية التي تبدو غير معقولة والتي تعودت على التهجم عليها... ومنه فكل قارئ يبحث عن المعنى العميق والباطني بالعقل لتوضيح التفسيرات المختلفة، وكذلك المبالغة في تبسيط اللغة «[٣]. ففي هذه الحالة يرغب «أوغسطين» في تبرير المنهج الرمزي(la Méthode Allégorique) للتأويل الذي يمكّنه من استخراج المعاني العميقة الباطنية للنص الأصعب من العهد القديم والجديد، وذلك لشرح وتفسير الجوانب الغامضة من الإنجيل. وبالتالي فإنّ التأويل هو نشاط عقلي يؤدي إلى تمثُّل الحقيقة بواسطة وسيلة أساسية هي العلامات، فيكون

(1) Goulven Madec: Portrait De Saint Augustin, Desclée Brouwer, Paris, 2008, pp53 - 54.

(2) Luc Verheijen: Le Premier Livre, Du De Doctrina Christiana D'augustin, Un Traité De «Télicologie» Biblique, Augustiniana Traiectina, études augustinienne, dépôt légal, Paris, 1987, p174.

يُلاحظ أيضا في:

- Isabelle Brumetiére: Bulletin Augustinien pour 2001 - 2002 Et Compléments D'années Anterieures, revue des études augustinienne (482|), Paris, 2002, p380.

(3) Saint Augustin: Pages Dogmatiques, tome (2), Synthèse Du Dogme Catholique, p112.

على شكل انتقال من المعرفة المباشرة إلى المعرفة غير المباشرة مع توضيح دقيق ومتواصل بالحدس المباشر[١].

ولهذا أدرك «أوغسطين» أنّ المعنى الحرفي للكتاب المقدس قد يُنفِّر أما سبر غوره والوقوف على جواهره، وهو ما يتحقق بمنهج التأويل، فيكشف عن حكمة هي ضالة الإنسان. لقد لجأ «أوغسطين» لهذا المنهج لأنه آمن بأن الكتاب المقدس الذي يحتوي على الحقيقة التاريخية الكلية كتاب صعب مليء بالغموض وبالأسرار، فلابد من البحث عن معنى خفي يستتر وراء المعنى الحرفي الظاهري الغامض. وقد انتقل «أوغسطين» إلى عملية التأويل بعد استماعه لإحدى عظات القديس «أمبرواز» (Ambroise) (٣٣٩ - ٣٩٧)، والتي استخدم فيها التأويل والمفاهيم الأفلاطونية المحدثة، فأدرك أن الكاثوليكية هي الحقيقة، وهذا عكس ما كان يعتقده سابقا[٢].

ورغم اهتمام «أوغسطين» الشديد بالمعنى الباطني للنص المقدس إلاّ أنّه اهتم أيضا بالمعنى الحرفي أو اللغوي، لأنّ الحرفي هو الأساس السليم لكل تفسير مجازي، وذلك على غرار التأويل الرمزي والتفسير المجازي لنص التوراة لدى «فيلون»(Philon)(٢٠ق م - ٥٠م) زعيم المدرسة الإسكندرية. قد تكون العلامات عند «أوغسطين» غامضة رغم كونها حقيقية، أي كلمات تتضمن معنى حقيقي، لكنه يبدو النص غامضا، فلابد من استخراج المسلك الأكثر وضوحا من الكتاب، أو من سلطة الكنيسة، فيستدعي الأمر مراجعة نص الخطاب نفسه، بيد أنه قلّما نجد غموضا في المصطلحات الحاملة لمعاني حقيقية. أمّا العلامات المجازية الغامضة، فتعني غموض المصطلحات أو الألفاظ التي تحمل المعنى المجازي، وهي تفرض حذرًا وعناية خاصة ومشتركة. ويجب قبل كل شيء الالتزام بأخذ التعبير المجازي الحامل للاستعارات والكنايات، من أجل التعبير عن المعنى الحقيقي، مع تجنب أخذ التعبير بالمعنى الحقيقي من أجل تعبير مجازي، وفي هذا لابد من اكتشاف وسيلة لمعرفة إن كان التعبير حقيقيا أو مجازيا، وذلك بنزاهة الآداب، وحقيقة الإيمان وحب الله ومعرفته[٣]. فالقدّيس «أوغسطين» يسير في التأويل المجازي

(1) Peter Brown: La Vie De Saint Augustin, Traduit de L'anglais par Jeanne - henri Marrou, éditions de Seuil, Paris, 1971, p311.

(٢) زينب محمود الخضيري: لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٢، ص ص٧٢، ٧٥.

(3) Saint Augustin: La Doctrine Chrétienne, 1ère série, pp 237, 257.

بفطنة، إذ يرى وجوب التمييز بين ما يجب أن يُؤخذ من النصوص حرفيا وبين ما يجب تأويله مجازيا، على أن تكون نتيجة التأويل الاتفاق مع العقيدة، ومبدأ وجوب اتفاق نتيجة التأويل مع العقيدة صار متوارثا لدى الكثيرين من رجال الدين المسيحي فيما بعد[١].

وينطلق «أوغسطين» من فكرة هامة وهي غموض الكتاب الإلهي أو الكتاب المقدس والتباسه، وهو الدافع الذي حرّضه على استخدام التأويل العقلي وكأنه ترياق لمعالجة النصوص المقدسة. وفيه قسّم أوغسطين العلامات (Les Signes) اللغوية إلى حقيقية وأخرى مجازية، يقول حول هذه الفكرة: «هناك سببان لعدم فهم نص مقدس (Texte Scripturaire)، عندما تكون العلامات مجهولة أو غامضة المعنى. إما أن تكون العلامات حقيقية أو مجازية. فنقول عنها حقيقية حينما تُستعمل للتمييز بين الأشياء كما هي مخلوقة... ونقول بأنها مجازية عندما تكون الموضوعات التي نرمز لها بواسطة لفظ حقيقي يستعمل للإشارة إلى شيء آخر»[٢]. ويؤكد «أوغسطين» أنه عندما نقول مثلا لحم حيوان ما فإننا نفكر في الحيوان الذي يسميه كل الناس الناطقون معنا باللغة اللاتينية بهذا الإسم، وفي هذه الحالة فإن العلامة حقيقية، وتكون مجازية عندما نستعمل نفس اللفظ أو العبارة (لحم حيوان ما) للدلالة على معنى آخر في الإنجيل باستعمال التأويل[٣].

وقد تدل أيضا كلمة ما في الإنجيل على أكثر من معنى، مما يستوجب القيام بالتأويل لإزالة اللُّبس والتناقض. يقول «أوغسطين» حول هذه الفكرة: « لكن عندما نستخرج من نفس كلمات الكتاب، ليس معنى واحد فقط، بل معنيين، فلا وجود لأي خطر، حتى لو أُعطي للسامع معنى متخفي، إن استطعنا الاستدلال عليه بواسطة مسالك أخرى من الكتب المقدسة التي تتفق مع الحقيقة (...) أو يُستخرج من هذه الكلمات تصور مختلف غير متعارض مع الإيمان الخالص»[٤]. فيحدث أن نفهم من كلمات الكتاب معاني متعددة وبكيفيات مختلفة.

فالتأويل يحتاج - يضيف «أوغسطين» - إلى شهادة الكتب المقدسة، وهي في حاجة إلى توضيح بواسطة الحجج والأدلة العقلية كونها غامضة بالاستعارات، وفي حالة الاختيار، فإننا نقوم بانتخاب

(١) محمد يوسف موسى: بين الدين والفلسفة في رأي ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٦٨، ص١٢٦.

(2) Saint Augustin: La Doctrine Chrétienne, p157.

(3) Ibid, p 157.

(4) Ibid, p 287.

معنى على آخر، وهنا نلجأ إلى التأويل الذي يزيل المجادلة والتناقض، وفي حال بقاء التعارض وعدم المطابقة نعود مرة أخرى إلى الشهادة الكامنة في الكتب نفسها، وبالمعنى المبرّر[١].

إنّ الكتاب الذي يُعلّمنا الحقيقة الأسمى لا يمكنه أن يوقعنا في خطأ علمي، وكل ما يقدر عليه العلماء بأدلة حقيقية، هو الاستدلال من الطبيعة بأن هذا لا يتعارض مع الكتب المقدسة، لكن كل ما يتعارض مع رسائلنا المقدّسة أيضا، أي مع الإيمان، بالقياس إلى وسائلنا، يُستدل على بطلانه. وبهذه الشروط، فكل ما في رسالة الكتاب المقدس قد تبدو وكأنها متناقضة مع بديهيات العلم، والعقل، أو الأخلاق، يجب أن تُفسر بوظيفة الاعتقادات، واستعمالات تلك المرحلة. هذا هو الحل الرئيسي الذي اهتدى إليه «أوغسطين»، لأنّ أي انطباع سرّي لا يمكن تنويره إلا عن طريق الرموز المعقولة. إن النصوص المقدسة تعبيرات تحمل معاني مختلفة، إذ قد تكون علامات ظاهرية ترمز إلى معاني أخرى باطنية، فالزيتون مثلا يرمز إلى السلام. وبهذه الحدوس الصوفية، يقرأ «أوغسطين» الإنجيل والمزامير، وبفضل هذا المنهج يُفسّر كل يوم أحد لشعبه صفحات الكتاب ويشرحها له، لأنها عبارة عن رموز أي رمزية النص[٢]. إنّ استخدام مناهج التأويل للكتب المقدسة عند «أوغسطين» تعبير عن فن الفهم السليم والصحيح لمعاني وتصورات النصوص، أي الانتقال من المعاني المجازية إلى المعاني الحقيقية، درءًا للغلط والضلال عند وصف الله تعالى.

وبهذه الكيفية، ومن أجل الحديث عن الله ووصفه وصفًا صحيحًا يجب في نظر «أوغسطين» الرجوع إلى الكتاب الحامل للّغة المعبّرة عن أشياء موجودة. فلتطهير الفكر الإنساني من كل أخطائه فإن الكتاب المقدس هو الذي يغذيه، ويسمح له بأن يتطور شيئًا فشيئًا، إلى أن يصل بوجه ما إلى الحقائق الإلهية والعليا. إنه يتضمن تعبيرات مجازية للأشياء المادية من أجل الكلام عن الله. معنى ذلك أنه يتضمن - عند وصفه الله - صورًا بيانية من تشبيهات واستعارات مأخوذة من الخلق الروحي لترجمة حقيقية بغيرها. فعندما يصف الله نفسه أنّ له أجنحة(Les ailes)، فهي موجودة في الواقع كأشياء وأعضاء مادية، لكنها بالنسبة إلى الله فهي مجرد كناية، لها دلالتها الرمزية[٣].

(1) Ibid, p 283.

(2) G. De Plinval: Pour Connaître La Pensée De Saint Augustin, édition Bordas, Paris, 1954, pp 125 - 127.

(3) Saint Augustin: La Trinité (15), Le Mystère, pp87 - 89.

وكل ذلك أدّى «بأوغسطين» إلى وضع شروط وقواعد دقيقة للتأويل وهي[١]:

١- من أجل تجاوز الجهل بالعلامات الحقيقية، فإن الوسيلة الأساسية الموصلة إلى معاني الألفاظ الحقيقية هي في معرفة اللغات كشرط ضروري لمعرفة الكتب الإلهية، وخاصة اللغة الإغريقية والعبرية، وذلك من أجل ترجمة سليمة إلى اللغة اللاتينية. لأن غموض النص الأصلي يوقع المترجم في الخطأ إن كان غير عارفٍ بالتعبير الصحيح، فيأخذ معنى آخر غير ما فكّر فيه الكاتب.

٢- عند وجود العلامات المجازية، على القارئ التوقف للبحث عن المعنى الدقيق، وذلك بمعرفة اللغات وقواعدها، وأحيانا ضرورة معرفة الأشياء والأخذ بالمعاني الرمزية للوصول إلى أسرار الكتاب. فيقوم بترجمة كل الأسماء لمعرفة معنى: آدم، إبراهيم، موسى. وكذلك أسماء الأماكن: أورشليم، سيناء الخ... مع ترجمة التعبيرات المجازية ترجمة واضحة. وبعد ذلك أصرّ أوغسطين على معرفة الأشياء لإزالة التعبيرات الغامضة عنها، كالأشياء الطبيعية مثل الحيوانات والجمادات والنباتات وغيرها، والتي هي مجازية في الكتاب أو أنها رموز (Symboles).

٣- وسيلة المقارنة الدائمة بين النصوص من طرف المترجمين إلى اللغة اللاتينية، وذلك بالتمحيص والاختبار.

٤- الاستنجاد بالتاريخ الذي يقدم لنا مساعدة كبيرة لفهم الكتب المقدسة، فنقابل تاريخ الأمم بالإنجيل، لطرحه بكيفية واضحة جدًا ودقيقة، أي استعمال التاريخ بالرجوع إلى أعمال وكتب «أفلاطون» مثلاً الذي يقال بأنه ذهب إلى مصر فتشبّع ربما برسائل اليهودية عن طريق جرمي (Jérémie).

٥- الصيغة الصورية للأمر الذي يمنع الفساد والعنف، فنصل إلى معنى حقيقي لا يتضمن العنف. أما إذا كان النص يدعو إلى ما هو نافع وخيّر فهو غير مجازي، وإلاّ فهو كذلك. مثال: «الحق الحق أقول لكم: إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فليس لكم حياة فيكم»[٢]. يبدو ظاهريا أنه نص يدعو إلى العنف والفساد والانحلال، فهو إذن

(1) Saint Augustin: La Doctrine Chrétienne, pp157, 269.

(٢) إنجيل يوحنا ٦: ٥٣ (الاصحاح٦. الآية٥٣).

معنى مجازي، وعندما نحتفظ بذكرى عميقة عن السلم الذي ضحّى من أجله المسيح، نفهم من النص أنّ ذلك عبارة عن غطاء للجرح والألم.

وعلى هذا الأساس، يمكن تقسيم منهج التأويل عند «أوغسطين» إلى مرحلتين: تتكون الأولى من خطوة القراءة، ثم خطوة التفسير الحرفي أو اللغوي للنص وهي الشرح. ويعتمد فيها الشارح على معرفة دقيقة باللغة وبقواعدها، وبعد ذلك تأتي الخطوة الثالثة وهي تحقيق الكتاب المقدس الذي كانت له ترجمات لاتينية عديدة عن اليونانية. والمرحلة الثانية ينطبق عليها اسم التأويل بالفعل، لأنها تعني بالتفسير المجازي للنص، وهنا لم يتوقف أوغسطين عن تأويل الأسماء وإنما تأوّل الأحداث أيضا. كتأويله لقصة الطوفان وهي قصة ذات دلالة رمزية، فالسفينة ترمز للكنيسة، والحيوانات ترمز إلى مختلف الشعوب الظاهرة وغيرها[1].

وبذلك استطاع «أوغسطين» أن يحدد محتوى الكتاب المقدس بالعودة إلى شرط توفر المعرفة لاكتشاف العلامات، وهنا يمكن تقسيم الدور الهيرمينوطيقي (Le Cercle Herméneutique) إلى:

١- الدور الخارجي المتمثل في تقديم الكتاب.

٢- الدور الأوسط المتمثل في تفسير العلامات.

٣- الدور الداخلي وهو معرفة الشيء نفسه.

ومنه، يبرر التأويل الأوغسطيني المسافة بين معنيين، المعنى المباشر لنص الإنجيل، والمعنى غير المباشر له. على أن وظيفة التأويل ليست هي التي تسمح بإثبات وإقامة المعنى الجديد، بل على العكس من ذلك، فإن يقين المعنى الجديد هو الذي يوجه عملية التأويل. هذه المقاربة النقدية والهيرمينوطيقية - والتي ليست مجرد قراءة تيولوجية - تثبت مشروعية الدور (اعقل كي تؤمن، وآمن كي تعقل)، لأنّ كل قراءة قائمة على قاعدة أساسية وهي: ما قبل الفهم، والآراء المسبقة، وهي القاعدة التي قال بها بعض الفلاسفة المعاصرين من أمثال «غادامير» (Hans - Georg Gadamer) (١٩٠٠ - ٢٠٠٢)[2].

---

(١) زينب محمود الخضيري: لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين، ص ص٧٧، ٨٠.

(2) Saint Augustin: La Doctrine Chrétienne, pp 438,442.

يُلاحظ أيضا في:

- René Latourelle: Dictionnaire De Théologie Fondamentale, éditions du Cerf, Paris, 1992, p 95.

ففي هذه المسألة (هيرمينوطيقا الفهم) يقول «غادامير»: «وإنما ينصبّ اهتمامه على الكشف عن دلالة أصلية متوارية خلف المكتوب المراد معالجته (...) دلالة البحث التأويلي هي الكشف عن معجزة الفهم وليس الكشف عن التواصل العجيب بين الذوات (...) يهدف التأويل إذن إلى إرجاع وإحلال الإتفاق وتسديد النقائص. كل هذا أكده تاريخ التأويل وخاصة عندما نستعين بهذه المرجعيات المهمة: القديس أوغسطين يتحدث عن العهد القديم الذي ينبغي أن ينظر عبر الحقائق المسيحية في عهد الإصلاح»[١]. «فغادامير» من المعاصرين الذين وضعوا أسّس فن التأويل والتفكيك، حول حقيقة العلوم الإنسانية، للوصول إلى المعنى المعقول. ومنه يمكن القول أن الهيرمينوطيقا المعاصرة تمتد إلى الفلسفات الكلاسيكية، وخاصة الفلسفة الأوغسطينية.

كما يوجد تشابها بين «أوغسطين» وفلاسفة العصور الوسطى في مجال فلسفة التأويل، يظهر بصورة أوضح لدى «الغزالي» عند المسلمين و«موسى بن ميمون» (١١٣٨ - ١٢٠٤) عند اليهود. فقد وُجّه سؤال «للغزالي» حول معنى قول الرسول: **«إن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم»**[٢] هل هو ممازجة كالماء بالماء؟ يرى الغزالي أنه إشارة إلى سريان أثره في جميع باطن الإنسان كما تجري أجزاء الدم وتسري في جميع باطنه وليس كممازجة الماء بالماء. ويؤكد «الغزالي» كرهه للخوض في مثل هذه المشكلة، لوجود تصادم بين المعقول والمنقول في أول النظر. لذلك قسم الفرق إلى من ينظر إلى النقل، ومن ينظر إلى العقل، ثم من جعل المعقول أصلا، ومن جعل المنقول أصلا. لكن الفرقة المتوسطة الجامعة هي المحقة في نظره، وقد نهج أصحابها نهجا نوعياً، حيث لا يدّعون العلم المطلق لقصور عقولنا. وأن لايكذّب برهان العقل أصلا إذ به عرفنا الشرع، والشرع شاهد بالتفاصيل، والعقل مُزكّي الشرع[٣].

وللتأويل عند «موسى بن ميمون» قواعد وشروط في كتابه «دلالة الحائرين». من بينها: أن يكون في الظاهر ما يرشد المتأمل بعقله إلى المعنى الخفي. ثم تأويل النصوص إذا كان معناها

(١) هانز جيورج غادامير: فلسفة التأويل، الأصول، المبادئ، الأهداف، ترجمة محمد شوقي الزين، الدار العربية للعلوم، منشورات الإختلاف، المركز الثقافي العربي، ط٢، ٢٠٠٦، ص ص٣٩، ٤٢.

(٢) رواه البخاري، رقم: ٢٠٣٨، ج١، خرّج أحاديثه واعتنى به، أبو الرحمان عادل بن سعد، دار الرشيد، الجزائر، ٢٠٠٨، ص٤٣٢.

(٣) الغزالي: قانون التأويل، دار البيان، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٩٢، ص ص١٥، ٢٥.

الحرفي يُنسب لله صفات المخلوقين التي يستحيل عقلا أن تُنسب له... إلخ[١]. ويقول في تأكيده على ضرورة التأويل: » وكذلك ينبغي أن يعلم أيضا من أمر الاستعارات والإغياآت طرف، لأنه قد يأتي ذلك كثيراً في نصوص الكتب النبوية (...) وقد بيّنوا وقالوا: التوراة تتكلم بلغة المبالغة يعني الإغياء»[٢]. ويضيف في حديثه عن تأويل النصوص: «فكيف لا يكون ذلك في هذه الغوامض؟ وأيضا فإني لا أرجح لك تأويلي، بل أفهم تأويله كله ممّا نبهتك. وأفهم تأويلي، والله أعلم بأي التأويلين هو المطابق لما أريد»[٣].

خاتمة

بناء على ما تم عرضه نصل إلى إمكانية الحديث عن الأصالة الأوغسطينية والمتمثلة في قدرة الفيلسوف «أوغسطين» على إدماج الفلسفة الأفلاطونية في المذهب المسيحي في وحدة متجانسة ومتكاملة، لأنه استقى من الأفلاطونية والأفلوطينية ما يتفق مع الوحي المسيحي، حيث استطاع الكشف عن الاختلاف القائم بينهما، أي بين الفلسفة اليونانية عموما وبين المذهب المسيحي. فاعتبر - تبعا لذلك - الحكمة المسيحية وحدها الفلسفة الحقة.

كما سار القديس «أوغسطين» على النّهج الذي رسمه آباء الكنيسة القدامى، وخاصة القديس «بولس» والقديس «أمبرواز»... واختار الفلسفة الأفلاطونية كمرجعية معرفية ومنهجية لمذهبه، لأنها الفلسفة الوحيدة التي تتناسب مع دعائم ميتافيزيقاه، حيث كانت فلسفة للروح وحدسانية أكثر منها عقلانية. فجاءت بذلك الأوغسطينية فلسفة الباطنية، والترنسندنتالية والروحانية، قائمة على تأمل الله وعلى معرفة الله ومعرفة الذات.

لكنه إذا كان «أوغسطين» قد تأثر ببعض المذاهب السابقة، فقد ترك أثرا كبيرا على الفكر اللاّهوتي والفلسفي وخاصة في الغرب، لأن آراءه وتعاليمه لم تكن مجالا للدراسة من طرف فلاسفة وعلماء اللاّهوت في العصر الوسيط فحسب، وإنما امتدت إلى العصر الحديث، فامتد

(١) زينب محمود الخضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٣، ص ١٩٢.

(٢) موسى بن ميمون: دلالة الحائرين، ترجمة وتقديم حسين أتاي، مكتبة الثقافة الدينية، (دط)، (دس)، ص٤٤٨.

(٣) المرجع نفسه، ص ٤٧٤.

مذهبه إلى غاية ظهور المذاهب الأوغسطينية الجديدة على يد تلامذة هم أتباعه كالقديس «أنسلم» والقديس «بونافنتور»، وبعدهما بعض الفلاسفة المحدثين وخاصة «مالبرانش". وهي المذاهب التي تستمد بناءها الفلسفي من آراء القديس «أوغسطين» وتعاليمه، رغم الاختلافات في المواقف الداخلية لكل مذهب، فكل المذاهب وانطلاقا من «أوغسطين» تصرّ على أن العقل يأخذ نقطة الانطلاق من الوحي. وفي هذا يمكن القول بأن فلسفته من الفلسفات الحية في كل زمان وخاصة في الفكر الغربي الراهن.

ونستنبط أيضا أنّ المنهج الأوغسطيني كان منهجا فلسفيا، لكنه قائم على المنهج التيولوجي (اللاّهوتي) بامتياز، لذلك كان التأويل عنده لاهوتيا بالدرجة الأولى يهدف إلى الفهم الصحيح للكتابات المقدسة. فأوغسطين لم يضع فواصل واضحة بين المجالين، إذ لا نستطيع في نظره أن نميز الإثنين عن بعضهما البعض، ومنه فالمعرفة الإيمانية والمعرفة العقلانية مقولتان ضروريتان في منهجه. فالإيمان إذن ضروري لاكتساب الذكاء والفهم، لا سيما فهم بعض الأسرار الدينية، فمن لم يعتقد لم يفهم. ولكن الإيمان أيضا مرتبط بالعقل الطبيعي، فمن لم يعقل لم يؤمن. ولهذا كله أي استخدام العقل من أجل الايمان، ارتبط التأويل الرمزي عند أوغسطين بمسألة الإيمان والعقل، واضعا قواعد أساسية ينسبها لتيكونيوس(tyconius) تتعلق الأولى بالمسيح وجسمه، والثانية بالوعود والقانون، والثالثة بالجنس والنزع، والرابعة بالأزمان، والخامسة بإبليس وجسمه، وغيرها.